

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ [الأنعام: 96]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الرَّيْبُ بَيْنَ
بَدِيعِ الْخَلْقِ،
وَمَظَاهِرِ قُدْرَةِ
اللَّهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي
الْكُونِ

وَصَفَ الْحَقُّ ﷻ نَفْسَهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِأَنَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَهَذَا مِنْ أَظْهَرِ أدْلَةٍ قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْإِحْيَاءِ⁽¹⁾، وَهِيَ آيَاتُ أَرْضِيَّةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ ههنا بما هو مثله ونظيره في الدَّلَالَةِ عَلَى الْإِحْيَاءِ مِنْ جَانِبٍ ثَانٍ، وَهِيَ آيَاتُ سَمَويَّةٌ، وَ"النَّوْعُ الْمُتَقَدِّمُ كَانَ مَأْخُودًا مِنْ دَلَالَةِ أَحْوَالِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ، وَالنَّوْعُ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَأْخُودٌ مِنَ الْأَحْوَالِ الْفَلَكَيَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فَلَقَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِنُورِ الصُّبْحِ أَعْظَمُ فِي كَمَالِ الْقُدْرَةِ مِنْ فَلَقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى بِالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ؛ وَلَأنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْأَحْوَالَ الْفَلَكَيَّةَ أَعْظَمُ فِي الْقُلُوبِ وَأَكْثَرُ وَقَعًا مِنَ الْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ"⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَالِقٌ﴾: "مُبْدِيهِ وَمُوضِّعُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَلَاقَ مَعْنَاهُ فِي اللَّغَةِ: الشَّقُّ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْإِبْدَاءِ وَالْإِيضَاحِ"⁽³⁾.

(2) ﴿الْإِصْبَاحِ﴾: مُصَدَّرٌ لِلْفِعْلِ النَّاقِصِ (أَصْبَحَ يُصْبِحُ إِصْبَاحًا)، وَالْجَذْرُ اللَّغَوِيُّ (صَبَحَ)، وَمِنْهُ الصُّبْحُ وَالصَّبَاحُ، وَهُمَا أَوَّلُ النَّهَارِ وَمَبْدؤُهُ⁽⁴⁾، وَمَعْنَاهُ الْمَحَوْرِيُّ هُوَ الضِّيَاءُ وَالْبَيَاضُ الْمُتَشِيرُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/199.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/75.

(3) الواحدي، الوسيط: 2/302.

(4) الخليل، العين: (صبح)، والسَّمين، عمدة الحقاظ: 2/314.

بقوة؛ فيغلب ما كان من ظلام وسواد، ويكون ﴿الْإِصْبَاحُ﴾ تغييراً عن ظلام الليل إلى ضوء النهار⁽¹⁾، و﴿الْإِصْبَاحُ﴾ لفظة فريدة في القرآن الكريم لم ترد إلا في هذا الموضع، ووردت في الآية بمعنى الصبح، وهو مبتدأ النهار وضوء الفجر⁽²⁾.

(3) ﴿الَّيْلُ﴾: وهو: "عبارة عن زمن مغيب الشمس إلى طلوع الفجر أو طلوع الشمس؛ لأنه مقابل النهار"⁽³⁾، والليل في الآية بمعنى الظلام الساجي المناسب لراحة الإنسان بعد تعب النهار ونصبه ولغو به⁽⁴⁾.

(4) ﴿سَكَنًا﴾: اسم ثلاثي مجرد، جذره اللغوي من (سكن)، ومنه: السكون، وهو الثبوت وذهاب الحركة⁽⁵⁾، كما أنه بمعنى الأهل الذين يقطنون في الدار⁽⁶⁾، والسكن يكون مقترناً بالراحة من التعب والنصب... لذلك جعله قرين الليل⁽⁷⁾، وسائر ما ورد في القرآن الكريم بمعنى الاستقرار⁽⁸⁾، ومعنى السكن الوارد في الآية: شيء يسكن إليه الناس بعد كدّهم في أوقات النهار؛ فيكون الظلام مناسباً لما يطلبون من الهدوء والاستقرار؛ ولأن نفوسهم ترتاح إليه، وكل شيء يرتاح له النفس، وتأوي إليه يسمى سَكَنًا⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189] فسميت الزوجة سَكَنًا؛ لأنه يؤوى إليها.

(5) ﴿حُسْبَانًا﴾: مصدر للفعل (حَسَبَ)، وجذره اللغوي (حسب)، ومعناه الإحصاء⁽¹⁰⁾، وأصل الحسبان في أحد معانيه دلالة على العد⁽¹¹⁾.

والحساب استعمال الإنسان التقدير، ومنه الوارد في الآية (حُسْبَان) المقترن

(1) جبل، للعجم الاشتقاقى المؤصل: (صبح).

(2) مجاهد، تفسير مجاهد، ص: 326، واللاوردي، التكت والعيون: 2/147.

(3) السمين، عمدة الحقاظ: (ليل).

(4) الشنقيطي، أضواء البيان: 1/488، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2601.

(5) الخليل، العين: (سكن)، وابن دريد، جمهرة اللغة: (سكن).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سكن).

(7) السمين الحلبي، عمدة الحقاظ: (سكن).

(8) جبل، للعجم الاشتقاقى المؤصل: (سكن).

(9) الشنقيطي، العذب الثمير: 1/541 - 542.

(10) الخليل، العين: (حسب)، والأزهري، تهذيب اللغة: (حسب).

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزأغب، للفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقى المؤصل: (حسب).

بالشَّمْسِ والقَمَرِ؛ "أي: يجريان بحسابٍ وتقديرٍ"⁽¹⁾، وحركةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ من أعظمِ المِنَّةِ على الخلائقِ في أَنَّهُم يَحْسُبُونَ بحركتهما أوقاتَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، والشُّهُورِ، والأعوامِ وغيرها⁽²⁾.

(6) ﴿تَقْدِيرٌ﴾: مصدرٌ للفعلِ (قَدَّرَ)، جذرُهُ اللَّغَوِيُّ (قَدَرَ)، و"القَدَرُ القَضَاءُ المُوافقُ، يُقال: قَدَّرَهُ اللَّهُ تَقْدِيرًا، وإذا وافقَ الشَّيْءُ شَيْئًا قِيلَ: جاءَ على قَدَرِهِ"⁽³⁾، والتَّقديرُ بيانُ كَمِّيَّةِ الشَّيْءِ، وتقديرُ اللَّهِ الأشياءِ: "بأن يجعلَها على مِقْدَارٍ مَخْصُوصٍ، ووجهِ مَخْصُوصٍ حسبما اقتضتِ الحِكْمَةُ"⁽⁴⁾، ومعنى ﴿تَقْدِيرٌ﴾ في الآية: أَنَّهُ تعالى يُقَدِّرُ أَجْرَ أَمَّ الأَفْلاكِ بصفاتها وحركاتها من جهةِ السَّرعَةِ والبُطءِ، وهذا لا يَمُكِنُ إلاَّ بِقُدْرَةٍ كامِلَةٍ، وعِلْمٍ بِجَمِيعِ المَعلوماتِ، وكلُّ ذلكَ مُخْتَصٌّ بالفاعلِ⁽⁵⁾.

(7) ﴿الْعَزِيزُ﴾: صيغةٌ مبالغةٌ على وزنِ (فَعِيلٍ)، مَنَ الفَعْلِ (عَزَّ يَعِزُّ)، الجذرُ اللَّغَوِيُّ له (عَزَزَ)، وقولهم: عَزَّ الشَّيْءُ هو أَن يكونَ جامِعًا لِكُلِّ شَيْءٍ، ويَقِلُّ حَتَّى يَكادُ يكونُ مَفْقُودًا، ولا يَوجدُ بسببِ قَلَّتِهِ ونُدْرَتِهِ⁽⁶⁾. والأصلُ في معناه دلالَتُهُ على القُوَّةِ والشَّدَّةِ وأَضرابِهما مَن القَهْرِ والغَلَبَةِ⁽⁷⁾، والعِزَّةُ حالَةٌ مَن الأحوالِ المانِعَةِ للغَلَبَةِ؛ لِصِلاَبَتِها ... والعِزُّ نقيضُ الذُّلِّ وخِلافُهُ، والعَزِيزُ الَّذي لا يُغْلَبُ لِقُوَّتِهِ وشِدَّتِهِ⁽⁸⁾، ومعنى ﴿الْعَزِيزُ﴾ في الآية: قاهرُ الشَّمْسِ والقَمَرِ، ومُسَيِّرُهُما على الوَجْهِ المَخْصُوصِ الَّذي يُريدُهُ⁽⁹⁾.

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

يخبرُ الحقُّ ﷻ عن نَفْسِهِ بِمَزِيدٍ من صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ المُشْتَمِلَةِ على إِحسانِهِ وإِنعامِهِ على خَلْقِهِ، بأنَّه فالقُ الإِصباحِ لَهُم بَعْدَ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ؛ فيَسْتَتِروا لِكسَبِ مَعاشِهِم بِكَدِّهِم وتَعَبِهِم، ثُمَّ أَنعمَ عَلَيْهِم بأنَّ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهُم ظَرَفًا مُطْمِئِنًّا تَسْكُنُ فِيهِ النَفُوسُ مِمَّا أَصابَها

(1) السَّمين، عمدة الحَقَّاط: (حسب).

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 7/392.

(3) الخليل، العين: (قَدَرَ).

(4) الرَّاعِب، المُفْرَدات: (قَدَرَ).

(5) ابن عادِل، الباب في عِلومِ الكِتاب: 8/312.

(6) الخليل، العين: (عَز).

(7) ابن فارس، مَقاييسُ اللُّغَةِ: (عَز).

(8) الرَّاعِب، المُفْرَدات، وجِبِل، العِجَمُ الاِشْتِقاقِيّ لِلْمُؤَصِّل: (عَزَز).

(9) البِيضاوِيّ، أنوارُ التَّنْزيل: 2/174.

تتابع ذكر
صفات الإيجاد
والإمداد، تذكير
بالمُنّ والإنعام

من تعب ورَهَق في نهارِهِم، ثم ذكر الشَّمْس والقمر؛ لأنَّ الشَّمْس سببُ اللَّيْلِ والقمر ضياؤه، وهما سببٌ لحسابِ الوقتِ عند كثيرٍ من النَّاسِ، وكلُّ ذلك بتقديرِ العزيزِ الغالبِ الَّذي لا يُقهرُّ، العليم بما ينفعُ النَّاسَ في معاشِهِم ومعادِهِم⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة حذف المبتدأ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾:

يجوزُ أن يكونَ قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوفٍ تقديرُهُ هو⁽²⁾، وبلاغةُ الحذفِ إمَّا إلى أنَّ الخبرَ مُتَعَيِّنٌ في واحدٍ فقط وهو الله، فاكْتَفِيَ بالتَّعْيِينِ الثَّابِتِ في أذهانِ المُخَاطَبِينَ عن الذِّكْرِ، ولم يَدْعِ أَيُّ كَذَابٍ أَنَّهُ فالقُ الإصباحِ، فتمحَّضَ الخبرُ فيه سبحانه وحده.

الآيات مَسْوْقَةٌ
لبیان أوصافِهِ
وقُدْرَتِهِ تعالى لا
لإثبات أُلُوهِيَّتِهِ

دلالة اسمِ الفاعلِ ﴿فَالِقُ﴾:

معنى ﴿فَالِقُ﴾ شاقِقٌ، وهو اسمُ فاعلٍ، مثلما نقولُ: (قاتلُ الضَّربةِ)؛ أي: أنَّ الضَّربةَ من يدهِ قاتلةٌ، و﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ معناها: أنَّ الصُّبْحَ يَنْفَلِقُ عن الظُّلْمَةِ؛ لأنَّ الظُّلْمَةَ مُتْرَاكِمَةٌ، وحين يأتي الإصباحُ فكأنَّه فَلَقَ الظُّلْمَةَ، وشَقَّها؛ ليخرجَ النُّورَ، وتعني أيضًا أنَّ الفَلَاقَ واقعٌ على الإصباحِ، فيأتي من بعدهِ الظُّلَامُ، فالإصباحُ فالقُ مرَّةً؛ لأنَّه شَقَّ الظُّلْمَةَ وفَلَقَها، ومَفْلُوقٌ مرَّةً أخرى؛ لأنَّ الظُّلْمَةَ جاءت بعده؛ إذن فاسمُ الفاعلِ قد أدَّى مُهِمَّتَيْنِ، وهذا من دَقَّةِ الأداءِ البيانيِّ في القرآن⁽³⁾.

الإصباحُ يَفْلِقُ
الظُّلْمَةَ بالنُّورِ،
وإِلْدائِمٌ معناها
لفظه المذكورُ

سرُّ إنباطِ لفظِ ﴿الْإِصْبَاحِ﴾ على لفظِ (الصُّبْحِ):

الإصباحُ: مصدرُ (أصبحَ)، إذا دخلَ في الصُّبْحِ ... وعن ابن

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 2/254.

(2) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 2/253.

(3) السَّعْرَاوِيُّ، تفسير السَّعْرَاوِيِّ: 6/3810 - 3811.

الإصباح الضياء
والبياض
المنتشر، وذلك
أوسع وأعم في
الدلالة عنه

فلق الإصباح
تصوير بفلق
الظلمة عن
الليل

دلالة السياق
على التمكن
والقوة، أو
وقوع الفلق على
الحقيقة

عباس رحمته الله أَنَّ الإصباحَ ضوءُ الشَّمْسِ بالنَّهارِ، وضوءُ القمرِ بالليلِ ⁽¹⁾، فـ"الظَّاهِرُ أَنَّ الإصباحَ في الأصلِ مصدرٌ سُمِّيَ به الصُّبْحُ، وكذا الإِمْسَاءُ" ⁽²⁾، وذلك أَنَّ معناه: الضَّيَاءُ والبياضُ المنتَشِرُ بقوةٍ؛ فيغلبُ ما كان من ظلامٍ وسوادٍ، وفي ذلك اتِّساعٌ في المعنى يتعدَّى دلالةَ لفظِ الصُّبْحِ الدَّالِّ على الظَّرْفِ المعروفِ مُقابلَ اللَّيْلِ.

بلادة الاستعارة في ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ من بابِ الاستعارة ⁽³⁾؛ "لظهور الضياءِ في ظلمةِ الليلِ، فَشَبَّهَ ذلكَ بفَلَقِ الظُّلْمَةِ عنِ الضَّيَاءِ" ⁽⁴⁾؛ فقد شَبَّهَ انشِقاقَ الفجرِ بفَلَقِ الإصباحِ، ونظيره في الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ ^(٥٧) [يس: 37]؛ فجعلَ ظهورَ النَّهارِ كسلخِ النَّشَاةِ في صورةٍ تمثيليةٍ بديعةٍ، كما أَلَحَّ إلى أَنَّ اللَّيْلَ أَصْلٌ، والنَّهَارَ فرعٌ عنه.

فائدة الإضافة في ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾:

الإضافةُ يجوزُ أَنْ تكونَ لفظيَّةً ⁽⁵⁾ كقولهم: (قاتلُ الضَّربةِ)؛ أي: أَنَّهُ إِنْ ضَرَبَ بيدهِ فضرِبَتْهُ تكونُ قاتلةً ⁽⁶⁾ دلالةً على التَّمَكُّنِ، وكذلك في ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، سيقَ الوصفُ هنا لبيانِ قُدْرَتِهِ تعالى وكَمالِهِ وإنعامِهِ وإحسانِهِ، والمرادُ: فالقُ ظلمةِ الإصباحِ، وهي الغَبْشُ

(1) الكرماني، غرائب التفسير: 1/375.

(2) السمين، الدَّر للصون: 5/58.

(3) الاستعارة: "أَنْ يَكُونَ للفظِ أَصْلٌ في الوَضْعِ اللَّغَوِيِّ معروفٌ تدلُّ الشَّواهِدُ على أَنَّهُ اخْتَصَّ به حِينَ وُضِعَ، ثُمَّ يَسْتَعْمَلُهُ الشَّاعِرُ أوْ غَيْرُ الشَّاعِرِ في غَيْرِ ذَلِكَ الْأَصْلِ". يُنْظَر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 30، كقولنا: (رأيتُ أسداً في المدرسة)، فالأصل (رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسة)، ثُمَّ صارتِ الجملةُ إلى ما ترى.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/390.

(5) الإضافة اللفظية: "هي التي يَكُونُ اللَّفْظُ على الإضافة، والمعنى على الانفصال، نحو: مررتُ برجلٍ ضاربٍ زيد، والمعنى: ضاربٌ زيداً". يُنْظَر: الرَّمَّانِي، رسالة الحدود، ص: 83.

(6) السَّعْرَاوِيُّ، تفسير السَّعْرَاوِيِّ: 6/3810.

الَّذِي يَلِي آخَرَ اللَّيْلِ⁽¹⁾. ويجوزُ أَنْ تكونَ الإضافةُ مَعْنَوِيَّةً⁽²⁾ دالَّةً على الحقيقة؛ أي: "أَنَّ الْفَلَاقَ وَقَعَ على الإصباح، فيأتي من بعده الظلامُ، وهذه من دَقَّةِ الأداءِ البيانيِّ في القرآن"⁽³⁾.

فائدة التعبير باسمِ الفاعل: ﴿فَالِقُ﴾ مُقابل الفعلِ ﴿جَعَلَ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ عبَّرَ عن معنى فالقِ الإصباحِ باسمِ الفاعلِ، غيرَ أَنَّهُ عبَّرَ عن جعلِ اللَّيْلِ سَكَنًا بالفعلِ، وفائدته أَنَّ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ وصفٌ ثابتٌ دائمٌ له تعالى ليس مُقَيَّدًا بَمُنْتَفِعٍ؛ فصفتُهُ هذه دائمةٌ سواءً انتفعَ بها أحدٌ أم لم ينتفعْ، أمَّا ﴿وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا﴾ فهو مُقَيَّدٌ بَمَنْ يَنْتَفِعُ مِنْهُ بأنَّ يستريحَ مَنْ وعثاءِ النَّهَارِ وكَدِّ التَّصَرُّفِ عن أسبابِ المعاشِ، وكذا الشَّمْسُ والقمرُ مَنْ ينتفعُ بحُسبانِهِما، فاللَّيْلُ قد لا يكونُ سَكَنًا، والشَّمْسُ والقمرُ قد لا يكونان حُسبانًا⁽⁴⁾.

الْفَلَاقُ أَدْوَمُ
لِعَدَمِ تَقْيِيدِهِ،
وَالسَّكَنُ مُقَيَّدٌ
بِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ
فَقَطْ

فَنُ الْمَجَازِ فِي ﴿وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا﴾:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا﴾ تعبيرٌ يتوافرُّ على المجازِ؛ فإنَّه وَصَفَ اللَّيْلَ هنا بالسَّكَنِ، واللَّيْلُ ظَرْفٌ يُسَكَنُ فِيهِ، والسَّكَنُ صِفَةٌ مَنْ يَتَّخِذُهَا لِلرَّاحَةِ والسَّكَنِ⁽⁵⁾، فهو ليسَ على الحقيقة، بل هو من بابِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ⁽⁶⁾؛ لكونِ قوله: (أو يسكنُ فيه) مِنَ السَّكُونِ بمعنى: اللَّبَثِ أَسْنَدَ إِلَى اللَّيْلِ مَجَازًا لِمَحَلِّيَّتِهِ، والمُرَادُ سَكُونُ الْخَلْقِ فِيهِ⁽⁷⁾،

الْلَّيْلُ لَا يَكُونُ
سَكَنًا، وَإِنَّمَا
يُسَكَنُ فِيهِ،
فَالْمَعْنَى عَلَى
الْمَجَازِ لَا عَلَى
الْحَقِيقَةِ

(1) المَخْشَرِيُّ، الكَشَاف: 2/376.

(2) وتسمى الحقيقةُ والإضافةُ الحقيقةُ: "و"هي الَّتِي يَكُونُ اللَّفْظُ على الإضافةِ والمعنى عليها، نحو: غلامُ زيدٍ وصاحبُ الدَّارِ". يُنظر: الزَّمَانِي، رسالة الحدود، ص: 83.

(3) الشَّعْرَاوِيُّ، تفسير الشعراوي: 6/3810.

(4) التَّوْجِيهِ لِلذَّكَوْرِ فَاضِلُ الشَّامِرَاتِي ذَكَرَهُ فِي بَرْنَامِجٍ لِمَسَاتِ بَيَانَتِهِ: <https://tadars.com/tdbr/eloquence/4949>.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/294.

(6) المجازُ الْمُرْسَلُ: "ما كَانَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ مَا اسْتُعْمِلَ فِيهِ وَمَا وُضِعَ لَهُ مُلَابَسَةً وَمُنَاسِبَةً غَيْرَ الشَّابِهِةِ كَالْيَدِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي النَّعْمَةِ، لَمْ يَجَزَ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ صَدُورِهَا عَنِ الْجَارِحَةِ، وَبِوَاسِطَتِهَا تَصَلُّ إِلَى الْقَصْدِ بِهَا". يُنظر: الصَّعِيدِي، بغية الإيضاح: 3/462 - 463.

(7) الْفَوْنَوِيُّ وَابْنُ التَّمْجِيدِ، حَاشِيَتَانِ عَلَى الْبَيضَاوِيِّ: 8/204.

فذكر الطرف، وأراد ما اشتمل عليه، وغرضه المبالغة كأنه جعل الليل برمته سكناً، مع أنه قد يكون سكناً في مكان، صახباً في مكان ثانٍ، أو أنه أراد الإشارة إلى أن الأصل في الليل أن يكون سكناً مثلما يكون النهار معاشاً⁽¹⁾.

تنوع القراءة بالفعل والاسم في ﴿وَجَعَلَ﴾ ودلالته:

قُرئ قوله: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾⁽²⁾ بالفعل الماضي ونصب الليل؛ أي: صيره سكناً، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: ﴿وَجَعِلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ بالألف⁽³⁾ على جعله اسم فاعل، وخفض الليل للإضافة، وهو اسم، ودلالة الاسم على الدوام والثبوت أمر مقرر في كلام العرب لخلوه من الزمن، فيكون جعله الليل سكناً على الدوام، ولا يكون في زمان دون زمان، بل على جعله مستمرًا في جميع الأزمنة⁽⁴⁾؛ أي: "أن المراد به الجعل المستمر في الأزمنة المتجددة حسب تجديدها لا الجعل الماضي فقط"⁽⁵⁾، كما أن القراءة باسم الفاعل ليكون ﴿جَاعِلٌ﴾ موافقاً لفظاً لـ ﴿قَالِقُ الْحَبِّ﴾ أول الآية الأولى، وموافقاً لـ ﴿قَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾ أول الآية الثانية؛ ليحصل التناسب في أن الجميع أسماء فاعلين⁽⁶⁾.

بلغة التعبير بالمجاز، في لفظ (الحُسابان):

الإخبار عن الشمس والقمر بالمصدر ﴿حُسْبَانًا﴾ إسناده مجازي؛ لأنه في معنى اسم الفاعل؛ أي: حاسبين. والحاسب هم الناس بسبب الشمس والقمر⁽⁷⁾، أو المراد بـ (الحُسابان) ذو حُسابان؛ لكونه سبب

التعبير الاسمي
يدل على الدوام،
باستمرار الجعل
في كل الأزمنة

الحاسب هم
الناس، وليس
الجزمين، وهو
من بليغ البيان

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 4/182.

(2) السنقيطي، العذب النمير: 1/537.

(3) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 263، وابن الجزي، النشر: 2/260.

(4) الزمخشري، الكشاف: 2/377.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/164.

(6) الفارسي، الحجة للقراء السبعة: 3/361، وابن الجوزي، زاد السير: 2/58.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/392.

الحُسبان، وللتَّنبِيهِ عَلَى كَمَالِ سَبَبِيَّتِهِ حُمِلَ عَلَيْهِمَا؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ إِنَّمَا تُعْرَفُ أَوْقَاتُهَا بِحَسَبِ دَوْرِهِمَا وَسَيْرِهِمَا⁽¹⁾، وَفِي التَّعْبِيرِ الْمَجَازِيِّ قُوَّةٌ لِّلْمَعْنَى، وَإِيجَازٌ فِي التَّعْبِيرِ، وَبَيَانٌ لِأَهْمِيَّتِهِمَا فِي الْحِسَابِ.

عَلَّةُ إِثَارِ لَفْظِ (الْحُسْبَانِ) عَلَى لَفْظِ (الْحِسَابِ):

الفرق بين الحساب والحُسبان؛ أَنَّ الْحِسَابَ مُقَدَّرٌ بَعْدَ وَقْعِهِ مَا يُحَسَّبُ، وَمَا يَعُدُّ، أَمَّا الْحُسْبَانُ فَإِنَّهُ يُحَسَّبُ وَيُقَدَّرُ قَبْلَ الْوُقُوعِ⁽²⁾، وَهُوَ الْمَلَاتِمُ لِلْمُرَادِ هُنَا، وَهُوَ بَيَانُ الْقُدْرَةِ وَالْإِنْعَامِ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى لَوْلَاهُمَا مَا قَدَّرَ أَحَدٌ عَلَى الْحِسَابِ. وَ(حُسْبَان) عَلَى وَزْنِ فُعْلَانِ، الدَّالُّ عَادَةً عَلَى الْمُبَالَغَةِ ككُفْرَانِ النِّعْمَةِ، وَغُفْرَانِ اللَّهِ. وَجَاءَ الْقِرَاءُ بِاللَّفْظَةِ فِي مَوْضِعَيْنِ اثْنَيْنِ فِيمَا يَتَّصِلُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، هُنَا، وَفِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ [الرَّحْمَنِ: 5]؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يُقَلِّ الْحَقُّ حِسَاباً، وَجَاءَ بِحُسْبَانٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي مُبَالَغَةً فِي الدَّقَّةِ. فَهَذَا لَيْسَ مُجَرَّدَ حِسَابٍ، لَكِنَّهُ حُسْبَانٌ، فَنَحْنُ نَحْسِبُ بِالشَّمْسِ الْيَوْمَ، وَنَحْسِبُ بِهَا الْعَامَ، وَلَكِنَّا نَحْسِبُ الشَّهْرَ بِالْقَمَرِ، وَأَنْتَ لَا تَقْدُرُ أَنْ تَعَكْسَ، فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَخْلُوقَانِ لِيَحْسَبَ بِهِمَا شَيْءٌ آخَرُ؛ لِأَنَّهُمَا خُلِقَتَا بِحُسْبَانٍ؛ أَي: أَنَّهُمَا قَدْ أُرِيدَ بِهِمَا الْحِسَابُ الدَّقِيقُ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ مَخْلُوقَةٌ بِحِسَابٍ، وَكَذَلِكَ الْقَمَرُ⁽³⁾. وَقَدْ اقْتَرَنَ الْحِسَابُ فِي الْآيَةِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ لِأَنَّهُ بَطْلُوعُ الشَّمْسِ وَمَغْرِبُهَا يُعْرَفُ عَدْدُ الْأَيَّامِ الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنْهَا الشُّهُورُ وَالسَّنُونَ، فَمِنْ هُنَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا⁽⁴⁾.

تقدير الحساب
بعد الوقوع، أما
الحُسبانُ فقبل
الوقوع

(1) الفونوني وابن التَّمْجِيد، حَاشِيَتَانِ عَلَى الْبِيضَاوِيِّ: 8/205 - 206.

(2) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 5/2601.

(3) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 6/3811 - 3813.

(4) الْقَاسِمِيُّ، مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: 4/440.

سرُّ اقترانِ توالّدِ النَّباتِ بِالشَّمْسِ والقَمَرِ:

اقتَرَنَ ذَكَرُ التَّوَالِدِ فِي النَّبَاتِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ههنا مع ذكرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ، لِأَثَرِهِمَا فِي إنباتِ النَّبَاتِ ووجودِ الأشجارِ، وحياةِ الأحياءِ، فَالشَّمْسُ تُوجِدُ الحرارةَ الَّتِي تَمُدُّ الأحياءَ بالنَّماءِ والدَّفءِ، وَمِنَ الحرارةِ إيجابًا وسلبيًا يَكُونُ المطرُ⁽¹⁾.

بلاغةُ تقديمِ (الشَّمْسِ) على (القَمَرِ) في السِّياقِ:

قَدَّمَ الشَّمْسَ على القَمَرِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، وهذا دأْبُهُ في جميعِ القرآنِ، وَغايَتُهُ تقديمُ الأصلِ على الفرعِ؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ هي الأصلُ بضائِئِها وَمنافِعِها لِلنَّاسِ، وهي الأكبرُ في حجمِها، والأكبرُ في حسابِ الأوقاتِ؛ فَإِنَّ دورَةَ الشَّمْسِ سنويَّةٌ، ودورَةُ القَمَرِ شهريَّةٌ، وبها تُعرَفُ الفصولُ وطولُ النَّهارِ واللَّيلِ وقصرُهُ وغيرُ ذلك الكثيرِ⁽²⁾، أَمَّا القَمَرُ فَأَقَلُّ من ذلك كُلِّهِ.

براعةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ الدَّالِّ على البُعْدِ ﴿ذَلِكَ﴾:

قولُهُ تعالى ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ذلك: اسمُ إشارةٍ مُتَضَمِّنُ اللَّامِ الدَّالَّةَ على البُعْدِ، وفائدةُ هذه اللَّامِ الإيذانُ بعلوِّ المُشارِ إِلَيْهِ وَسُمُوهُ وَبعْدَ مَنْزِلَتِهِ⁽³⁾، وهو الحقُّ ﷻ.

نُكْتَةُ التَّذْيِيلِ بِصَفَتِي ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ في ختامِ الآيةِ:

قولُهُ تعالى ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وردت هذه الآيةُ مُذَيَّلَةً بِصَفَتِي ﴿الْعَزِيزِ﴾ و﴿الْعَلِيمِ﴾، وهذا التَّذْيِيلُ كثيرًا ما يَقتَرَنُ بألفاظِ الشَّمْسِ والقَمَرِ⁽⁴⁾، وسرُّ ذلك أَنَّ العِزَّةَ معناها القَهْرُ؛ فهو الَّذي قَهَرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ والنَّجُومَ، وسَخَّرَها وفقَ إرادَتِهِ، وهو العَلِيمُ المحيِطُ

الشَّمْسِ
والقَمَرِ مصدرانِ
لِعيشِ النَّباتِ
وذيَمومَتِهِ

تقديمُ الأصلِ
على الفرعِ،
ترتيبُ منطقيٍّ
لألفاظِ
ومعانيها

الآدمُ المتَّصلةُ
باسمِ الإشارةِ،
مؤذنةٌ بعلوِّ
المُشارِ إِلَيْهِ
وسُمُوهُ

في العِزَّةِ معنى
القَهْرِ بجعلِهما
مُسَخَّرَينِ، وفي
العلمِ الإحاطةُ
بكلِّ شيءٍ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 2601/5 - 2602.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 2601/5.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/254.

(4) أبو حيان، البحر الحيط: 4/191، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/305، والشَّعراوي، تفسير

الشَّعراوي: 6/3813.

بما في السماوات والأرض، لا يَعْرِبُ عن علمه شيء من أحوالهما ولا من غيرها⁽¹⁾. و"العزیزُ إشارة إلى كمال قدرته، والعليمُ إشارة إلى كمال علمه، ومعناه: أن تقدير أجرام الأفلاك بصفاتِها المخصوصة وهيئاتِها المحدودة، وحركاتِها المقدرة بالمقادير المخصوصة في البطء والسُرعة لا يُمكن تحصيله إلا بقُدرة كاملة مُتعلّقة بجميع المُمكنات، وعلم نافذ في جميع المعلومات من الكليات والجزئيات، وذلك تصريحٌ بأن حُصول هذه الأحوال والصفات ليس بالطبع والخاصة، وإنما هو بتخصيص الفاعل المُختار"⁽²⁾.

بلغة تقديم ﴿الْعَزِيزِ﴾ على ﴿الْعَلِيمِ﴾:

قوله تعالى ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ذَكَرَ الحقُّ ﷻ صفتين من صفاته العلية، وهما العزة والعلم، فقَدَّمَ ﴿الْعَزِيزِ﴾ على ﴿الْعَلِيمِ﴾؛ وسرُّ ذلك أنه لما كان سياق الآية في الشمس والقمر وجريانهما، وهما من الأجرام العظيمة؛ فإنَّ تقديم ﴿الْعَزِيزِ﴾ مُناسبٌ لهذا السياق الذي يقتضي قوَّة وقهراً؛ فإنَّ "الجميع جارٍ بتقدير ﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُمانع ولا يُخالف، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكلِّ شيء"⁽³⁾، ولو أراد أحد أن يفعل ذلك، أو أن يُحدث تغييراً لأعياء ذلك.

❁ الفروقُ المُجَمَّية:

﴿فَالِقُ﴾ و﴿خَالِقُ﴾:

جاء بالوصفِ ﴿فَالِقُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾، ولم يأت بالوصفِ (خالق) ونحوه، لُنُكْتَةٍ لطيفة؛ فإنَّ معنى الفلق: جعل الشيء شقين اثنين، وهو مَطْلُوبٌ، والفلق هنا يتخرَّج منه النهار والليل؛ فهما "نِعمتان مُتقابلتان لا تكفي واحدة عن الأخرى؛ إذ لا

السِّيَاقُ فِي
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
يَقْتَضِي عِزَّتَهُ
الْعَلِيَّةَ قَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ

وَجْهَ الْفَلَقِ هُنَا
تَخْرِيجُ النَّهَارِ
وَاللَّيْلِ مِنْهُ،
وَذَلِكَ إِعْجَازٌ
خَارِقٌ بَدِيعٌ

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 6/2430.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/79.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/305.

بَدَّ أَنْ يُوجَدَ إِصْبَاحٌ، وَيُوجَدَ اللَّيْلُ⁽¹⁾، فَالْفَلَقُ يَحَقِّقُ غَرَضَ التَّنْثِيَةِ (الَّيْلَ وَالنَّهَارَ)؛ فَإِنَّ مِنْ نِعَمِهِ تَعَالَى أَنْ جَعَلَ لَهُمُ النَّهَارَ لِلْكَسْبِ، وَاللَّيْلَ لِلرَّاحَةِ، وَهُوَ مَا لَا يُحَقِّقُهُ فِعْلُ الْخَلْقِ.

(فَعَلَ)، وَ(عَمِلَ)، وَ(صَنَعَ)، وَ(جَعَلَ) وَ(خَلَقَ):

والعملُ: كُلُّ فِعْلٍ يَكُونُ بِقَصْدٍ، فَهُوَ أَخْصُ مِنَ الْفِعْلِ؛ فَالْعَمَلُ إِيجَادُ الْأَثَرِ فِي الشَّيْءِ. وَالْفِعْلُ: التَّأْثِيرُ مِنْ جِهَةٍ مُؤَثِّرٍ، وَهُوَ عَامٌّ لِمَا كَانَ بِإِجَادَةٍ أَوْ غَيْرِ إِجَادَةٍ، وَلِمَا كَانَ بِعِلْمٍ أَوْ غَيْرِ عِلْمٍ، وَقَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَلِمَا كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالْجَمَادَاتِ. وَالصَّنْعُ أَخْصُ مِنْهُمَا؛ لَكُونِهِ إِجَادَةُ الْفِعْلِ، فَكُلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ صُنْعًا، وَلَا يُنْسَبُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ كَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْفِعْلُ⁽²⁾. وَالْجَعْلُ الصَّنْعُ، إِلَّا أَنَّ (جَعَلَ) أَعَمُّ، فَهُوَ لَفْظٌ عَامٌّ فِي الْأَفْعَالِ كُلِّهَا، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ فِعْلِ وَصُنْعِ فَعَلَ وَصُنْعَ وَسَائِرِ أَخَوَاتِهَا، وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ التَّصْيِيرُ، فَمَعْنَى جَعَلَ: وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ يَكُونُ لِلتَّحْوِيلِ وَالتَّهْيِئَةِ عَلَى وَضْعٍ، أَوْ لِلْخَلْقِ، وَهُوَ تَحْوِيلٌ لِلْهَيْئَةِ بِإِنْشَاءِ هَيْئَةٍ جَدِيدَةٍ⁽³⁾.

وَمِنْ هُنَا فَسَّرُ إِبْرَادُ الْفِعْلِ **﴿وَجَعَلَ﴾** فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾**. دُونَ الْفِعْلِ (خَلَقَ) مَعَ أَنَّهُ مُرَادِفٌ لَهُ فِي عُمُومِ مَعْنَاهُ؛ أَنَّ الْحَقَّ ﷻ لَمْ يُرِدْ خَلْقَ اللَّيْلِ مِنَ الْعَدَمِ، كَمَا هُوَ حَالُ مَعْنَى الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ أَصْلًا، إِنَّمَا الْقَصْدُ جَعْلُهُ **﴿سَكَنًا﴾**؛ فَإِنَّ هَذَا الْجَعْلَ يَفِيدُ التَّحْوِيلَ وَالتَّصْيِيرَ؛ أَي: أَنَّ اللَّيْلَ مَوْجُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِنَّمَا أَرَادَ هُنَا أَنْ يَجْعَلَهُ "سَاجِيًا مُظْلِمًا مُنَاسِبًا لِلسُّكْنَى ... مُلَائِمًا لِلْهُدُوءِ، وَعَدَمِ الْحَرَكَةِ"⁽⁴⁾ فَتَمَّةٌ فَرَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ، وَالتَّحْوِيلِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، وَكِلَاهُمَا فِي قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

(1) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 6/3808.

(2) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ الْلُغَوِيَّةُ، ص: 134، وَالزَّاعِبُ، الْفُرَادَاتُ: (عَمِلَ)، (فَعَلَ)، (صَنَعَ).

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ الْلُغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْفُرَادَاتُ، وَجَبَلُ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (جَعَلَ).

(4) السَّنَقِيطِيُّ، الْعَذْبُ النَّمِيرُ: 1/542.

المراد في الآية
التَّحْوِيلُ
والتَّصْيِيرُ،
وليس الإنشاء

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 11، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-63-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 11: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-798-63-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»